مقالاتٌ لم تُنشر

في كتابي (نبض اليراع)

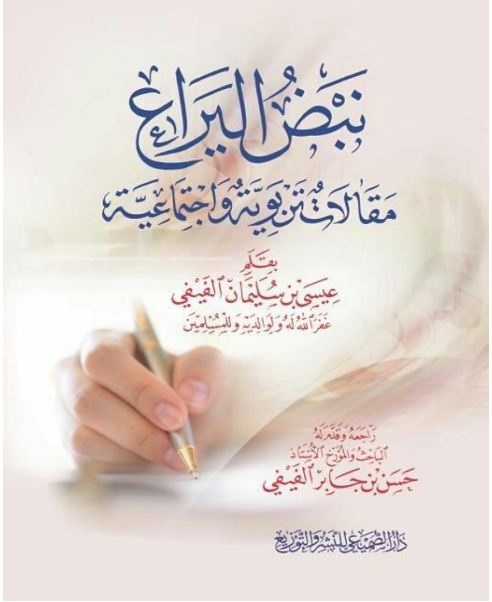

بقلم

عيسى بن سليمان الفيفي

غفر الله له ولوالديه وللمسلمين

جميع الحقوق محفوظة

مُقَدِّمَة

الحمد لله الذي علم بالقلم ، علم الإنسان ما لم يعلم ، والصلاة والسلام على نبينا محمد الأكرم ، المؤيد بكتابه المبين ، المتمسك بحبله المتين وعلى أله وصحبه أجمعين

وبعد :

فهذه مقالاتٌ نُشرتْ بالصحيفة وانتشرتْ لكنها لم تُنشر ضمن كتابي (نبضُ اليراع) وقد قمتُ بجمعها من جنبات الصحف وجمعتها هنا في طرسٍ واحد ليتم نشرها لمن أراد الاستفادة منها، لعلها تصلُ لقارئٍ مثقف، فننال منه دعوة طيبة.

والكتاب غلاف يقع في ١٧٦ صفحة من مطبوعات دار الصميعي للنشر والتوزيع بالرياض، في طبعته الأولى لعام ١٤٤٠هـ - ٢٠١٩م .

والحمد لله الذي يسّر وأعان . . فقد لقي الكتاب صدى كبيراً ورواجاً وانتشرت نسخة حتى لا تكاد تجدها في مكتبات جرير . . وقد نفدت نسخة من مكتبات جرير في المنطقة الجنوبية، لأنه يشتمل على مقالات تربوية محضة وكذلك اجتماعية تفيد المجتمع المثقف وغير المثقف بشهادة الكثير ممن قرأوه . . وهذا من توفيق الله تعالى وحده.

المؤلف

أ. عيسى بن سليمان الفيفي

Eisa850@hotmail.com

تويتر : Eisa850

بين السماء والأرض[1]

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله . . . أما بعد:

سافرت من إحدى مدن المملكة العربية السعودية عبر الخطوط الجوية، وبالتحديد من منطقة تبوك، عبر مطار الوجه متجهاً إلى مدينة جدة، وكنت بصحبة اثنين من زملائي في العمل، معلمين بمدارس الديسة التابعة لمحافظة ضباء.

وكان ذلك يوم الأربعاء ٩/ ١/ ١٤٣٢هـ، وكنا باتجاه مكة المكرمة، بيت الله العتيق، الذي تحن إليه الأفئدة، أردنا أن نتمتع بإجازة الأسبوع هناك حيث يوم عاشوراء نصومه ببلد الله الحرام، ونتذكر أياماً قضيناها هناك أيام الدراسة على مدار خمس سنوات، ونستمتع بإجازة وراحة قصيرة، لنرجع مسرورين بزيارة بيت الله الحرام.

فكنا في الرحلة في هناء وسرور وأحاديث سمر وضحك، وبالٍ مطمئن، نتطلع للوصول، وترقب النزول، بعد أن أخذت الرحلة ما يقارب ساعة.

اقترب موعد الهبوط، فجأة وإذا بالطائرة تضطرب وتهتز، والهول يقترب، يقاوم الكابتن المطبات الهوائية، والسحب الكثيفة، والضباب، حتى أظلمت علينا السماء، ولكن ما الذي جعل هذه الطائرة بكبرها تضطرب في الجو.

---

(١)- ١٣ / ١ / ١٤٣٢هـ

إنه قوة الهواء والرياح المعاكسة لاتجاه الرحلة، وكثرة الضباب والسحب، فتضرب أجنحة الطائرة فتضرب وتهتز، وتلعب بنا يميناً وشمالاً، يحاول الكابتن تفادي السحب والضباب.

مرة يهبط بسرعة ومرة يرتفع بسرعة لتفادي السحب والضباب، ومرة يميل الطائرة الله يسامحه والله لقد قطع قلوبنا في صدورنا، أصبنا بضربة هستيرية، رأينا الموت.

لكن ما الذي حدث داخل هذه الرحلة:

عم الخوف، انقلب الضحك إلى بكاء، يبس اللسان، ازداد نبض القلب، الكل قلق خائف، اضطرب الناس، ايقنوا بالهلاك، تغيرت نظراتهم، خوف، فزع، اضطراب، قلق، حيرة، لولا رحمة الله تعالى، بدأ الصياح شيئاً فشيئاً، وبدأ يعلوا، وازداد خوفنا بارتفاع الصراح والبكاء.

دعونا الله بالنجاة والحفظ، نطقنا الشهادة، كاد الموقف ينسينا الشهادة، خرجت الشهادة من أفواهنا متقطعة، تذكرنا ماضينا المظلم، نفكر في الحياة والموت يحيط بنا تقطعت قلوبنا في أماكنها، وقفت شعورنا، ارتعدت فرائصنا، لولا حفظ الله سبحانه تعالى لنا.

كادت آمالنا بقضاء إجازة ماتعة بجوار البيت الحرام أن تذهب سدى، ونذهب معها.

والله لقد كنا في حديدة بين السماء والأرض، لا نضمن نجاة، ولا كتابة وصية، وإن كتبناها فمن نعطيها، فلا أرض سوف تقلنا ولا سماء سوف تظلنا، سوف نذهب أدراج الرياح.

فسبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين.

لما هدأت الرياح، وتفادى الكابتن تلك السحب، واستوت الطائرة، حمدنا الله تعالى على النجاة، نزلنا على الأرض حمدنا الله على سلامة الوصول، بقيت فرائصنا ترتعد لم يهدأ بال، لم نصدق أننا نزلنا على الأرض من هول ما رأينا.

نحمد الله على كل حال.

نحمد الله الذي نجانا وحفظنا، فالموت لا بد منه شئنا أم أبينا، فنسأل الله حسن الختام، فلا ننسى أن نحفظ الله في الرخاء، ليحفظنا في الشدة.

فإذا ركبنا الجو اقتربنا من الله، وخفنا من ذنوبنا، فنحن في الجو أكثر إيماناً، وبالله أكثر تعلقاً، لكن إن هبطنا على التراب وعانقنا الأحباب، سرعان ما ننسى الله تعالى، فابن آدم دائماً كثير الخطأ والنسيان، يلتجأ إلى الله تعالى في الشدة وينساه في الرخاء، قال الله تعالى: (فإذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم إلى البر إذا هم يشركون).

نستغفر الله من ذنوبنا، ونحمد الله على كل حال، سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين، وإنا إلى ربنا لمنقلبون.

موقف وبشارة[1]

موقف:

في هذا الصباح الباكر كنت متجهاً لعملي في مدينة نجران، ونسيم الصباح يعم المكان، وخيوط الشمس الذهبية تتلألأ أمامنا، والشوارع مكتظة بالزحام، والبرد القارس يحيط بنا، والناس في عجلة من أمرها وقفت عند إشارة المرور الحمراء المزدحمة بالسيارات، وسط ذلك الشارع الذي لا تكاد تخلو منه حركة السير، فإذا بقائد سيارة يوقف سيارته وينزل، ويُنْزِلُ شخصاً من سيارته ويقوده إلى جانب الطريق الآخر، ويوصله إلى الرصيف ويرجع إلى سيارته، فرحاً مسروراً بعمله ذلك، قاده من زحمة السيارات، وعلى الناحية الأخرى ذلك الرجل الأعمى يلوح له بيده، أَنْ شكراً لك، ولن يشكره فقط بل سوف يدعو الله تعالى له خالصاً من قلبه أن يوفقه الله وييسر أموره، جزاء تفريجه له كربته، لمحته الأنظار عند الإشارة بغبطة وفرح، وأنه لا زال مجتمعنا يبشر بخير، ولا شك أن الكل شكره على فعله، ودعا له بخير جزاء صنيعه، والله تمنيت لو كنت مكانه، لأحظى بأجر جزيل، ودعاء صالح.

بشارة :

(١)- ٢٦ / ١ / ١٤٣٣هـ

ذلك الموقف يبشر بخير كبير في مجتمعنا، وأننا بخير ما زلنا نقود الأعمى، ونحافظ على الأخلاق الإسلامية، ونعرف للأعمى حقه علينا، وخاصة إذا كان شيخاً كبيراً، ونحمد الله تعالى ونشكره حق شكره على نعمة البصر العظيمة التي لو فقدناها، لتكدر صفوُ حياتنا، وفقدنا النظر إلى بديع صنع الله في الكون.

ويعتبر هذا الموقف صدقة من الصدقات، وداخل في تفريج كربة المسلم والتيسير عليه، وقد قال ﷺ : (من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن يسر على معسر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة) . رواه مسلم

وبشارة لذلك الرجل الأعمى، حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: " إن الله عز وجل قال: (إذا ابتليت عبدي بحبيبتيه فصبر عوضته منهما الجنة يريد بها عينيه). " رواه البخاري

لنعلم أن قيادة الأعمى فيها أجر جزيل، وثواب عظيم من الله تعالى، وشكر لله على أن جعلنا نبصر الطريق، نقوده إلى المسجد فنكسب منه دعوة صالحة بظهر الغيب، كذلك لما نقوده ونعبر به الشارع نجنبه مخاطر الطريق، ونقوده إلى مجلسه، بذلك كله قد أدخلنا الفرح إلى قلبه، وحسسناه بأنه ذا قيمة في المجتمع، وإظهار الخضوع والعبودية لعظمة الله تعالى بعدم التكبر على هذا الأعمى الذي لا يرى الكون إلاّ ظلام دامس، فلا يعرف شمساً ولا يرى غروباً، ولا يرى جمال الكون من حوله مثلنا، ومع أنه أعمى فهو راضٍ بقضاء الله وبقدره، ولم يقف العمى حائلاً بينه وبين طلب العلم، وبين ابداعاته، ولم يكن الابتلاء بالعمى سبباً في سكون اليأس في نفسه، ولنعلم أن الذي يرزقنا هو رازقه، فقد رزق حية عمياء برأس شجرة، وسخر لها من يطعمها كل يوم.

وردت أحاديث في فضل قيادة الأعمى لكنها ضعيفة، منها:

عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، مَرْفُوعًا (مَنْ قَادَ أَعْمَى أَرْبَعِينَ خُطْوَةً، وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ).

هذا الحديث رواه ابن الجوزي في "الموضوعات" مِن أكثر من طريق وعن أكثر من صحابي، وبألفاظ مختلفة، ثم قال: هذه الأحاديث كلها ليس فيها ما يصح عن رسول الله ﷺ، ثم بيّن عِلل تلك الطُّرُق.

وأوْرده الصغاني في "الموضوعات"، وقال الهيثمي: رواه الطبراني في الكبير وأبو يعلى، وفيه علي بن عروة، وهو كذاب. اهـ . وضعّفه ابن حجر والألباني.

وأخيراً:

لنعلم علم اليقين أن الذي سلب بصر الضرير قادر على أن يسلب أبصارنا، وأن يفقدنا هذه النعمة إن نحن لم نشكره عليها، قال تعالى: (لئن شكرتم لأزيدنكم)، فلو أعطي أحدنا كنوز الأرض على أن يسلب منه بصره لما فعل، ولما رضي.

اللهم لك الحمد ولك الشكر، على نعمك العظيمة، وعلى نعمة البصر الغالية، اللهم اجعلنا ممن يشكر ولا يكفر.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد

رحل قائد ووقف قائد[1]

في دقيقة واحدة على مرأى ومسمع من العالم كله تم الإعلان عن رحيل قائد عظيم ومبايعة قائد عظيم مثله في نفس اللحظة وبنفس الخبر – ولله الحمد والمنة – فقد نام الشعب السعودي وولي أمرهم الملك عبدالله بن عبدالعزيز واستيقظوا وولي أمرهم الملك سلمان بن عبدالعزيز دون حدوث أي أمر طارئ ولا حدوث مشاكل ولا دماء ولا حكومة انتقالية – فلله الحمد ولله الشكر الجزيل – وانتقال الحكم من ملك إلى ملك آخر بكل سلاسة ويُسر وتقليد مقاليد الحكم لخليفته ومبايعة الشعب له وفقه الله توفيق من الله تعالى وسياسة حكيمة لهذه الدولة الحكيمة الرشيدة.

فلنشكر الله تعالى ونحمده على ذلك، فهو الذي يؤتي ملكه من يشاء سبحانه ويعطيه من يستحقه ليقوم بحقه، ونحمده أن هيأ لنا أسرة (آل سعود) هذه الأسرة الملكية الحاكمة الموفقة بتوفيق الله تعالى والتي تُحَكّم شرع الله تعالى الكتاب والسنة، وتسعى جاهدة لاستتباب العدل والأمن والأمان وسلامة الأوطان ورغد العيش وهنائه، ولننعم بكل رخاء وازدهار وتطور، واجتماع كلمة الشعب السعودي مع ولاة الأمر على المحبة

(١)- ٥ / ٤ / ١٤٣٦هـ

والألفة وكلهم يداً واحدة وكلمة واحدة على السمع والطاعة في المنشط والمكره، فنحن كذلك رغم أنف كل حاقد وحسود لهذا البلد.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ٥٩ ﴾ . النساء: ٥٩ .

لذا وجب علينا شرعاً أن نجدد البيعة لولاة الأمر جمعيهم حفظهم الله ووفقهم، فإسمي وباسم جميع منسوبي مدرسة تحفيظ القرآن الكريم بالشقيق من معلمين وإداريين وطلاب نرفع أحر التعازي والمواساة لمقام خادم الحرمين الشريفين ولسمو ولي عهده الأمين وللأسرة الملكية وكافة الشعب السعودي في وفاة ملك الإنسانية الملك عبدالله بن عبدالعزيز تغمده الله بواسع رحمته ومغفرته، ونجدد لكم البيعة وفقكم الله وسددكم يا خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبدالعزيز آل سعود وولي عهده الأمين صاحب السمو الملكي الأمير مقرن بن عبدالعزيز آل سعود وولي ولي العهد صاحب السمو الملكي الأمير محمد بن نايف بن عبدالعزيز آل سعود على السمع والطاعة في المنشط والمكره على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وألاّ ننازع الأمر أهله ولا نشق عصى الطاعة لولاة الأمر الذين هم ربّان وقادة سفينتنا (بلاد الحرمين) التي تمخر بنا وتشق عباب بحر هذه الحياة المتلاطمة الأمواج من كل جانب والعالم يتصارع من حولنا بكل قواه، يسيرون بنا على خطى ثابتة وعلى نهج قويم وعلى عقيدة صحيحة تعاقب عليها الملوك وتتعاقب عليها الأجيال منذ عهد المؤسس الملك عبدالعزيز رحمة الله عليه ومن بعده أبناؤه البررة رحمة الله على من رحل منهم وحفظ الله لنا من بقي بكل صحة وعافية وخير واطمئنان.

حفظ الله لنا ولاة أمرنا ورعاهم وسدد على طريق الخير خطاهم ووفقهم لما فيه صلاح العباد والبلاد.

ورحم الله عبدالله بن عبدالعزيز الملك الراحل والقائد العظيم فقيد الأمة وأجزل مثوبته وجعل جنة الفردوس مثواه، وجبر كسر قلوبنا في فراقه المرّ وعوضنا خيراً.

رحمك الله يا أبا متعب . . رحمك الله يا عبدالله بن عبدالعزيز.

اللهم احفظ لنا أمننا وإيماننا وولاة أمرنا وعلماءنا ورجال ديننا ورجال أمننا واحفظ بلادنا من كل سوء ونحن نسعد بكل أمن وأمان ونتقلب في رغد العيش بصحة وسلامة وعافية في ظل حكومتنا الرشيدة.

بقلم

أ. عيسى بن سليمان الفيفي

مدير مدرسة تحفيظ القرآن الكريم بالشقيق

أُستاذي الفاضل جابر بن سلمان الفيفي[1]

لولا المعلم ما قرأتُ كتاباً ولا خط الحروفَ يراعي
فبفضله جزتُ الفضاءَ محلقاً وبعلمه شق الظلام شعاعي

هذا الأستاذ العظيم بعلمه العزير بفوائده، الحريص باهتمامه، المحب لتلاميذه، أعتبره الجندي المجهول؛ هذا المعلم كان من أبرز المعلمين الذين تتلمذتُ عليهم في المرحلة المتوسطة والثانوية في مواد اللغة العربية والأدب والإملاء والتعبير.

كان خلوقاً عطوفاً؛ طيب المعشر؛ كثير الابتسامة؛ مثقف غزير العلم والفوائد، متواضعاً للكل، يحب تلاميذه، يجذبهم بأسلوبه الرائع، كان قدوة حسنة لنا نحن تلاميذه، وقد كان معلماً ناجحاً بشهادة الجميع.

كان يقول لي وأنا أحد تلاميذه بالصف الأول المتوسط؛ وكنت في مقدمة الصفوف؛ أنا اتفرس فيك النضج والذكاء في الكتابة، وكانت هذه الكلمات مدحاً منه وتشجيعاً لي فقط، لا أدري ما مقصده غير أني أعرف أنه مدحني، ولي الفخر يمدحني أستاذي أمام أقراني، ليرفع من معنوياتي، لكنني لم أكن وقتها أعرفُ شيئاً عن الكتابة ولا كنتُ وقتها أعيّ ما يقصد، ولا أفهم ما الكتابة، ولا فكرّتُ بذلك مطلقاً؛ وربما كنت ممتازاً عنده في مادة التعبير فقط لا أقلّ ولا أكثر . . كل ذلك جعله يتفرس فيّ ذلك.

---

(١)- ٧/ ١٠ / ١٤٣٧هـ

لكن لا أخفيكم والله . . أن كلماته تلك أصابت رغبةً في نفسي فبدأتُ أكتب بعض الأشياء المكسرة وأعرضها عليه، وأذكر شاركت في مسابقة أقيمت بالمعهد بعنوان (كتابة القصة) وبقيت ما يقاربُ الشهر كلما كتبت صفحات قليلة عرضتها عليه حتى أتممت البحث، وحصلت على امتياز فيها.

وكتبت بعدها ملخصاً لبعض ما أعجبني من سيرة رسول الله ﷺ من كتاب الرحيق المختوم للمباركفوري.

قد كان مخلصاً، وكان ينمي فينا حبّ التعلم الذاتي وحبّ القراءة والكتابة وبناء المستقبل علمياً؛ وكان يقول لنا بالحرف الواحد "سوف تجدون أمامكم عقبات ومشغلات تشغلكم كثيراً فالزمن قد تغيّر كثيراً" وهذا والله ما نراه الآن وما نعاني منه، معلمٌ قد عاصر الحياة وعاش حلوها ومرّها، فهو ممن حمل الكرسي والطاولة على كتفه من طلعة "امستوفعه" بجوة الشراحيلي إلى أعلى جبل فيفاء بمدرسة النفيعة، من أجل أن يتعلم ويدرس في مراحل التعليم الأولى . . فلن أنسى فضله الكثير عليّ فكان نعم الأستاذ ونعم الموجه والمربي.

فالكل لهم فضلٌ كبيرٌ عليّ من جميع المعلمين، فأنا أُعتبَر حسنة من حسناتهم، فهم قدوتي في التعليم؛ وهم أساتذتي أكنّ لهم الحب والتقدير ما دامت الروح داخل الجسد.

لكنني اتحدث عن المعلم الذي كان السبب الكبير في دخولي تحت قائمة "الكُتَّابْ" ولله الحمد والمنة، فقد كان يصطحبنا إلى المكتبة في حصص التعبير والإنشاء، ويطالبنا بكتابة وتلخيص ما قرأناه، ثم يطالبنا بالواجب المنزلي في مادة التعبير وعرضه عليه لكي يعودنا على الكتابة الجيدة؛ ليصنع منا جيلاً فذاً كاتباً يخدم دينه ووطنه بقلمه، حتى جمع كل طالب منا حصيلة كبيرة من كتاباته؛ أما أنا فقد احتفظت بها للذكرى . . وفقك الله

أستاذي وسددك وجعلك مباركاً أينما كنت . . فلقد حصدتُ ثمرةَ تعليمكَ لنا بإذن الله . لا أستطيع شكرك ورد الجميل، لكنني أبتهل إلى الله تعالى أن يجازيك بذلك خيراً . . لأنك صنعت قلماً يسعى بإذن الله مخلصاً لا يألوا جهداً في خدمة دينه ووطنه.

فقمت بالمشاركة في بعض المنتديات بكتابات حضيت بإعجاب القرّاء، ثم شاركت في بعض المجلات، كمجلة "نون" ومجلة "منار الجامعة" التابعة لجامعة أم القرى، ثم قمت بتطوير هذه الموهبة وكتبت في بعض الصحف الرائعة ولله الحمد كلما سنحت لي الفرصة؛ أو عرضت عليه فكرة دونتها وكتبتها في مذكراتي . . وقد صدر لي بفضل الله تعالى هو كتاب بعنوان "نبض اليراع" الذي سبق الحديث عنه في المقدمة، جمع كل مقالاتي وكتاباتي وبعضها لم تنشر هناك فهي منشورة هنا غير ما ضاع مني أو لحقه التلف . . وبالله التوفيق

وما من كاتبٍ إلاّ سيبلى ويبقي الدهر ما كتبت يداه
فلا تكتب بكفك غير شيءٍ يسرك في القيامة أن تراه

الهجنبة . . قرية نحبها وتحبنا[1]

الهجنبة هي تلك القرية الصغيرة المتواضعة، شبه المتحضرة، تقع شمال مركز الشقيق بكيلوات قليلة بمحافظة الدرب، وهي قرية زراعية فيها كثير من المحاصيل، تغطيها المزارع المنتشرة حولها وحواليها، أهلها ذو أخلاق عالية ونفوس طيّبة، لهم عادات وتقاليد تعجب الزائرين، فيها مناظر خلابة، ومناظر غريبة، ومزارع عديدة.

في هذه القرية وضعت قدمي في مشوار العمل التعليمي، وعلى ثراها شعرتُ بحب الوطن الغالي والانتماء إليه، وخدمته بعيداً عن النظر إلى مكان الميلاد، على أرضها تعلمت أن الإنسان إذا ما أراد العطاء فلا يمنعه وعورة الطريق ولا غربة المكان، ولا قلة المقومات الحياتية التي تصبح أحياناً ترفاً في حياة الإنسان، فمن تربتها أحسست أن الواجب يتضاعف، وأن يدي ويد زملائي ستجعل من هذه التربة واحة غناء، من شدة حرارة شمسها أيقنت أن حرارتها دفء يشد من عزمي وقوتي، نظرت إلى ما حولها من الجبال الشاهقة فقرأت فيها أن الشموخ مرتقى سهل يمكن للإنسان أن يرتقيه بالعزم والإصرار والتحدي، وأبصرت في جنباتها الفلاحين واليد العاملة التي تكدح لتنتج، فعَزَّزَتْ في نفسي ألاّ عسر مع اليسر، ولا صعب مع الصبر، وبالصبر تُنالُ القِمم.

---

(١)- الاربعاء ١٥ / ١٠ / ١٤٣٧هـ

فالحب فطرة إنسانية منحها الإنسان ليعيش بها مع الناس ويخالطهم بها ولن يستطيع العيش معهم بدونها؛ فنحن أحببنا الهجنبة بمن فيها حتى أحبتنا وارتحنا معها فارتاحت معنا، ومن لم يجد الراحة فيها فلن يجده في غيرها، وذلك تيامناً بسنة المصطفى ﷺ وقوله عن جبل أحد (أحد جبل يحبنا ونحبه)، فمن يلومنا إن تعلقت قلوبنا بالهجنبة وأهلها حباً لهم وشوقاً، فمن عرفها فلن يلومني أبداً في حبها.

خلو مكانها من السكان أحياناً، وبعدها عن الصخب والحضارة المتقلبة، جعل الترابط بيننا أقوى كالأسرة التي تسكن المكان منفردة، عليها أن تُحافظ على المكان، وتشيد البُنْيان، وتقيم وثائق عرى الإيمان وتخلق من الألفة والمحبة جسراً لبقية الأيام، ومن التسامح نموذجاً.

عندما يقترب المساء يبدأ الهدوء ويبدأ يظلم المكان متأخراً لبقاء الشمس في الأفق ساحبة خيوط النهار معها رويداً رويدا حتى يجتمع الظلام؛ فتوحي للنفس أن الليل قد حلّ وعسعس، وعندها تشتد الحاجة إلى المأوى، وسرد الحكايات والقصص والانشغال بالقراءة والاطلاع حتى نقطع الوقت والليل الطويل المليء بالأشغال والملهيات النافعة وغيرها، لننتظر الصباح بإشراقة شمسه، لنرى وجوهاً مشرقة، تلوح لك من بعيد.

تعلمت من مدرستها أن الحياة مدرسة ليست صعبة، وأن مخالطة الناس ومعاشرتهم أساس الحياة، ومعرفة العادات والتقاليد المختلفة تجعلك تعايش المجتمع بكل فئاته، فأحببت من خلالها اليد التي تعمل، والعقل الذي يفكر، والقلب الذي يحب، والمعلم الذي ينتج، والطالب الذي يجتهد، والطفل الذي يلعب، والشخص الذي يأتي من بعيد ويكسر المعاناة بابتسامته المشرقة، والأب الحاني الذي يسأل عن أبنائه، والمنهج الذي يربي على القيم، والكتاب القيّم المفيد، والإنسان المسرور بعمله.

فراغنا شغلٌ في التفكير في طيبة أهلها، وكريم خصالهم، ونبيل صفاتهم، وصفاء قلوبهم، وجُودُ كرمهم، وجمال ابتسامتهم، وجميل عاداتهم وتقاليدهم، وطيب كلامهم الذي يفوح من ألسنتهم.

كأن الهجنبة أكسبتهم من جمالها الأخّاذ جَمال الطِباع، وترابها الذهبي أورثهم طِباعُ الجَمال، وخضرتها أكسبتهم رواء العقول، وبداوتهم أورثتهم صفات الرجال وبعدهم عن الحضارة أكسبهم نقاء العقول وصفاء الأذهان، واتساع كثبانها الرملية أورثهم سعة الصدور.

فهذه الهجنبة بجمالها وأسمى معانيها وطيبة أهلها ورونق لهجتها، فقد ذكرتني كثيراً بمراتع الصبا والطفولة، وتواضعها وانبساطها، وطريقها الجميل المحفوف بالمزارع والبيوت، ودوامها المحبوب الذي لم تحب النفس كأيامه خلال سنوات مضت، هي التي أسرت قلبي وأبكت عيني لفراقها، وهذه الشقيق بشاطئها الجميل الخلاب الذي لا أنسى جميل ذكرياته، أيها الشاطئ الجميل لك في قلبي ذكريات، كم نفستَ حزني، وكم خففتَ كربي، وكم أسهرت ليلي، وكم سمرت على جنباتك وشربت القهوة مع أحبابي، وكم قرأتُ على نسماتك العليلة من كتاب ورواية جميلة، كم كتبتُ على ضفافك من مقال وذكريات ومذكرات، كم تذكرت مراتع الطفولة عندما تنغمس رجلاي في الوحل، كم أدمعتَ عيني على فراقك يا من كنت أنيسي أيام الغربة والوحشة، كم علمني زبدك أن هموم الدنيا ولأوائها لا تبقى ولا تدوم، ولا يبقى إلاّ ما يفيد وينفع الناس "وأما الزبد فيذهب جفاءً" كم تعلمت من أمواجك الصبر والاستمرار والثبات على الحق في ظل هذه الفتن التي تتلاطم بالناس تلاطم الأمواج، كم أيقنت أن الأرزاق بيد الله تعالى لما أرى الطير في الهواء نازلاً بسرعة الريح يختطف رزقه من بين أحضانك،

وشمسك الجميلة التي تأسر القلوب بخيوطها الذهبية وقت المغيب فسبحان مبدعها وخالقها، والقمر البهي المنير في طريقه متوسطاً عرشه في السماء الزرقاء الفاتنة، "كلٌ في فلكٍ يسبحون".

وهذه التحفيظ التي هي درة العلم ومظلة تعليم كتاب الله ونشره وذكرياتها وأيامها وسنواتها الجميلة، وهذه التحلية بنقائها وصفائها وأحبابها وأشيابها وزحامها، وهذه الأحياء والقرى بهدوئها، وهذا الأشول بهدوئه القاتل الموحش، وهذه الغبرة بمنافعها وكدرها، وهذا الطريق الساحلي الممتلئ بالمارة، وهذه الحريضة بترتيبها وجمالها ورونقها، وهذا الربيع الجميل الذي يجذب السياح والمصطافين من المناطق الباردة، وزحمة السياح واصطفافهم كالبنيان المرصوص على شاطئ البحر كأنهم ينتظرون شبحاً مخيفاً لردعه ورده للخلف.

فبعد ثلاث سنوات جميلة بحلوها ومرها تضاف لسجل ذكرياتي التي لا تنسى، والله نودعها ونحن نبكي حزناً وأسى، ودموعنا ترسم الآهات على خدودنا، فكم لنا والله فيها من أحباب وخلان وأصدقاء وأعزاء وطلاب لا تملهم العيون، ولا تنكرهم القلوب ، ولا تجفوهم النفوس، فأكرم بهم قلّ نظيرهم في كثرة الأوطان، قبل أيام قلائل ونحن نودع الشقيق ومن فيها وقلوبنا معلقة بها نبكي أسى.

أحبابي وأصدقائي زملائي وطلابي: عهداً لكم عليّ أني لا أذكركم إلاّ بكل خير وأدعوا لكم؛ وكرماً منكم تغافلوا عن زلاّتي وتقصيري وادعوا لي لعلّ دعوة أحدكم تسعدني في الدارين . . وأشكركم شكراً جزيلاً لا عِدَاد له، وأشكر شكراً جزيلاً صحيفتكم الغراء "الراصد الجميلة" التي لها فضلٌ عليّ لا أنساه، بأن منحتني مساحة منها لأنثر فيها إبداعاتي وكلماتي التوجيهية طيلة سنواتي بالشقيق لعلها تفيد وتنفع، ليكتب الله لنا بها

القبول والإحسان يوم نلقاه، ولعل هذا المقال (والله أعلم) آخر كتاباتي بهذه الصحيفة الجميلة . . والله إن القلب ليحزن وإن العين لتدمع لفراقكم . . ولكن لعلّ لنا في الحياة لقاء بإذن الله . . ونسأل الله أن يوفقنا وإياكم لكل خير وأن يجعلنا مباركين أينما حللنا وارتحلنا . . والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل . . استودعتكم الله الذي لا تضيع ودائعه .

من غَابْطن إلى الشُورَى[1]

الشيخ الدكتور سليمان بن علي بن محمد الفيفي ـ عضو مجلس الشورى ـ وفقه الله وسدده وأعانه على تحمل المسؤولية، من مواليد جبال فيفاء لعام ١٣٩٩هـ وعاش فيها أجمل أيام طفولته بين أهله وخلانه، كانت أيامٌ جميلة بظروفها فهو لا ينساها كما يحدثنا عنها بنفسه.

درسَ الصفوف الأولية من الابتدائية بمدرسة نيد الضالع القديمة بفيفاء قبل انتقالها إلى مبناها الجديد، وتعلم الأساسيات فيها، ثم تسنى لأسرته الرحيل عن الديار رغم تعلقه بمسقط رأسه وحبه لها وحزنه على فراق خلانه وأصدقاء الطفولة.

حيثُ حان الموعد المؤلم . . موعد الفراق الصعب . . ربطت الأسرة الكريمة أمتعتها وحقائبها (عام ١٤١٢هـ) استعداداً للرحيل عن مراتع طفولته التي فقدها لحظة نزولهم من ـ طلعة جرزمه ـ للسفر إلى الديار المقدسة والبقاء بها، وكان من الطفولة يتميز بالذكاء وقوة الحفظ والذاكرة كما يشهد له بذلك أقرانه، فقد كان يحدثنا عن أمور وحكاياتٍ حدثت له أيام طفولته وأيام شبابه، كثير الابتسامة، هادئ البال، كثير المرح، صاحب فكاهة، غزير العلم.

(١)- السبت ٣ / ٣ / ١٤٣٨هـ

انتقل مع عائلته الكريمة المكونة من والديه وإخوانه وكان أوسطهم إلى مكة المكرمة حيث طاب لهم المقام بها وسكانها قريباً من المسجد الحرام ليذهب مشياً على الأقدام، وأكمل دراسته الابتدائية بها وانتقل إلى المعهد العلمي بالحرم المكي ليكمل مرحلتي المتوسطة والثانوية فيه، وكان متميزاً في علمه وأخلاقه، ودرسَ به العلوم الشرعية والعربية وأتقنها وتخرج منه بامتياز، لينضم إلى التعليم العالي بجامعة أم القرى ـ قسم القضاء ـ بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية وفي سنوات قليلة تخرج منها وحصل على البكالوريوس بتقدير ممتاز مع مرتبة الشرف الأولى وكان بحث التخرج بعنوان: (المفصّل في أحكام صلاة الجمعة على المذاهب الأربعة . . دراسة فقهية مقارنة) في عام ١٤٢٢هـ.

وبجانب دراسته النظامية كان يلازم بعض حلق الذكر وطلب العلم في المسجد الحرم وفي خارجه لينهل من المعين العلمي.

وتم تعيينه معلماً بالمعهد العلمي بالحرم المكي عام ١٤٢٣هـ وعمل فيه عشر سنوات متتابعة، ودرّسَ فيه الفقه والحديث والتفسير واللغة العربية والحساب وغيرها، وكان مجتهداً مجداً مثابراً مخلصاً في عمله، متميزاً دؤوباً في طلب العلم، وكان إماماً لمسجد السقّاف بحي المصافي الساكن فيه، يحبه من عرفه ويحترمه ويقدره الكثير من الناس، (وكنتُ أنا خلال هذه العشر السنوات طالباً بجامعة أم القرى، وكنت أقابله كل يومٍ خمس مرات بمسجده الذي نصلي فيه، غير الزيارات بحكم القرابة؛ فعرفتُ عنه الكثير والكثير كما يحدثني).

وقد رأيته يجلس أغلب وقته في مسجده ما بين المغرب والعشاء ويقرأ في كتب الفقه وتخصصه الدقيق، وكان ذا همةٍ عالية وعزيمة قوية ليكمل الدراسات العليا، وبالفعل

فقد وفقه الله ويسر له ذلك بسبب دعوات الوالدين وبره بهما . . فرحم الله أباً علّمه ورعاه وحفظ أمّاً ربته تربية صالحة . . قلّما تجده إلاّ ومعه كتابه.

وكان يحضر الدروس التي يلقيها العلماء والمشايخ في المسجد الحرام وخارجه بصفة مستمرة، وقد حضرتُ معه عدة مرات دروس الشيخ عبد العزيز العجلان تحت المكبرية بالحرم، حيث كانت همته في طلب العلم قوية ولم أره يوماً من الأيام يدوّن شيئاً وإنما يحفظ، فقد وهبه الله ذاكرة قوية وعلمه من علمه؛ فسبحان من علمه، وقد تدرج في طلب العلم كما يفعل أساتذته الذين طلب العلم على أيديهم.

ولديه مكتبةٌ بمنزله ليست بالكبيرة الهائلة، لكنها تزخرُ بأمهات الكتب، والمراجع العلمية الأساسية وخاصة في تخصصه الفقه والدقيق الفقه المقارن، ولا يألوا جهداً في التردد على المكتبات العامة للبحث وطلب العلم والحصول على مراده ومبتغاه في طلبه للعلم.

وكان يلقي الدروس والمحاضرات والتوجيهات في بعض مساجد مكة المكرمة وخارجها، وتم اختياره كذلك خطيباً لفصاحته وبلاغته (من عام ١٤١٨هـ وبقي إلى عام ١٤٣٠هـ)، ثم عُيّن في الإفتاء في الحرم المكي الشريف بقي فيها عشر سنوات يفتي الناس ويعلمهم ويوجههم في أعمالهم، وقد حضرتُ بعض المرات معه في مكتب الإفتاء بالحرم ورأيت كثرة السائلين والمترددين عليه للاستفتاء وكان يجيب عليهم بلا انقطاع موضحاً ومبيناً لهم، وكان واثقاً بما أعطاه الله من العلم الغزير والعقل الراجح، فأعجبتني هذه الشخصية النادرة المتواضعة.

وقد حصل على درجة الماجستير من كلية الشريعة والدراسات الإسلامية ـ تخصص الفقه ـ بتقدير ممتاز مع مرتبة الشرف الأولى يوم الثلاثاء الموافق ١٧ / ٧ / ١٤٣١هـ

بقاعة الشيخ عمر السبيل ـ رحمه الله ـ وكانت رسالته بعنوان (كفاية النبيه شرح التنبيه لابن الرفعة، من أول باب: الشك في الطلاق إلى آخر باب: الإيلاء . . دراسة وتحقيق).

وكان يعمل معلماً بمعهد الحرم وقتها، ثم انتقل ليعمل محاضراً بجامعة أم القرى ـ قسم الحسبة ـ عام ١٤٣٢هـ، ووفقه الله ويسّر له إكمال دراساته العليا وحصوله على درجة الدكتوراه ـ رغم ظروفه الصعبة التي مرّت به تلك السنوات، ومرض والده ومعاناته مع المرض العضال ووفاته رحمه الله رحمة الأبرار وجعل جنة الفردوس مثواه ـ فاستعاد الدكتور نشاطه وهمته ليكمل رسالته بعد وفاة والده بسنوات وحصل عليها بتوفيق الله تعالى من كلية الشريعة ـ تخصص الفقه ـ بتقدير ممتاز مع مرتبة الشرف الأولى يوم الأحد الموافق ١٣ / ٨ / ١٤٣٦هـ بقاعة الأمير فيصل بن فهد ـ رحمه الله ـ وكانت رسالته بعنوان (الزامات العلامة ابن حزم للفقهاء الأربعة من خلال كتابه المحلى من أول كتاب الهبات إلى آخر كتاب صحبة ملك اليمين . . دراسة وتقويماً).

وكانت له سفرات خارج المملكة من أجل إكمال هذا الرسالة، التي سنراها بإذن الله يوماً من الأيام مرجعاً لطلبة العلم، وأوصت اللجنة بطباعتها وتداولها بين الجامعات السعودية.

ثم ترقى في مدارج العلم والعمل، وصدر قرار مدير الجامعة بترقيته إلى رتبة أستاذ مساعد في الفقه وأصوله، ويشارك في برامج الماجستير والدكتوراه، وإلقاء الدورات الدروس لمنسوبي رئاسة الحرمين الشريفين، والمشاركة في التدريس والتدريب في الأمن الفكري لقوات الأمن الخاصة بمكة المكرمة.

وله أبحاث علمية محكمة جديدة على الساحة العلمية، بعضها منشورة في (مجلة البحوث والدراسات الإسلامية) بجامعة دار العلوم بإسلام أباد، وكذلك (مجلة أبحاث الإيمان) بجامعة الخرطوم بالسودان، وبعضها جاهزة للتحكيم والنشر.

حضر عدة دورات علمية ومؤتمرات معتمدة بجامعة أم القرى وخارجها من المؤسسات العلمية، وترقى في مناصب المعهد العالي للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بفضل الله ثم لجهده واجتهاده وأمانته العلمية والعملية ثم صدر قرار معالي مدير جامعة أم القرى بتاريخ ٢٤ / ١٢ / ١٤٣٧هـ بتكليفه رئيساً لقسم الحسبة ولا زال حتى الآن.

ولن يُستغربَ عليه ذلك؛ فقد كان يوماً من الأيام طالباً عند الشيخ الدكتور سعود الشريم، والشيخ الدكتور عبدالرحمن السديس، والشيخ الدكتور صالح بن حميد، والشيخ عمر السبيّل ـ رحمه الله ـ ، والشيخ الدكتور عبدالمجيد السبيّل ، وفطاحلة العلم وعباقرته من مشايخ وعلماء جامعة أم القرى.

وقد زكاهُ كثير من مشايخه وكتبوا له لما رأوا فيه من الفهم والنبوغ الذي فقده كثيرٌ من أقرانه، وأجازه بعضهم في جامعة أم القرى.

ويذكر أنه في يومٍ من الأيام كان لديه اختبار عند الشيخ سعود الشريم؛ فكان من شدّة الموقف وصعوبة المنهج والأسئلة تصبب عرقاً حتى مسح بعض ما كتب من الإجابات؛ ومع ذلك حصل على درجته الكاملة.

ثم صدر الأمر الملكي الكريم بتاريخ ٣ / ٣ / ١٤٣٨هـ بتعيينه عضواً بمجلس الشورى وقد رفع الدكتور خالص آيات الشكر والعرفان إلى مقام خادم الحرمين الشريفين بهذه الثقة الملكية الكريمة بصدور الأمر الملكي بتعيينه عضواً بمجلس الشورى . . سائلاً المولى أن يوفقه ويسدده وأن يكون عند حسن ظن القيادة الرشيدة.

وأنا أدوّن هذه الأسطر وكلّي فخرٌ واعتزاز بمثل هذه الشخصية الكريمة، التي تعتبر رمزاً من رموز الوطن – المملكة لعربية السعودية – وكذلك رمزاً من رموز جبال فيفاء في العلم والمعرفة، وعلماً من أعلام جامعة أم القرى، وفخراً لجبال فيفاء ومسقط رأسه ومرتع طفولته، فقد خرج منها صغيراً ومن بيت والديه (غابْطن) يطلب العلم، فمرّت السنون والأعوام لتسير به وتحط به ركائبه إلى (مجلس الشورى) وفقه الله وسدده، وقد رفع اسم فيفاء في جميع الميادين والمحافل بعلمه وخلقه، هكذا يفعل الموفقون، هكذا هم العباقرة، هكذا . . وهكذا . . وكنت قد رأيتُ بعضاً مما كتبتُ عنه وسمعتُ منه بعضها فهذا غيضٌ من فيض.

نسأل الله له التوفيق والسداد، وأن يعينه على تحمل المسئولية وأدائها كما يرضي ربه ثم ولاة أمره، وأن يجعله مباركاً أينما كان . . وصلى الله وسلم على خاتم الأنبياء.

الصامت في القروب[1]

رأيتُ الكلام يزينُ الفتى والصَّمتُ خير لمن قد صَمَتْ
فكم من حروفٍ تجرُّ الحتوفَ ومن ناطقٍ ودّ أن لو سَكَتْ

الصمت شعار العقلاء في كل زمان ومكان تأسياً بقول النبي ﷺ (من كان يؤمن بالله واليوم الأخر فليقل خيراً أو ليصمت)؛ فقد ربحوا والله . . في حين خسر بعض الآخرون بعضاً من حسناتهم ومروءتهم وبعضاً من أصحابهم، فهنيئاً ثم هنيئاً لهم كيف استطاعوا الصمتْ في عصر الثرثرة الالكترونية، وفي ظل هذه البرامج التواصلية وهي بين أيديهم صباحَ مساء؛ والمحادثات من كل حدبٍ وصوبْ، وما نراه لا جديد فيه وإنما أغلبه من (النسخ واللصق)، ليجد هذا الصامت العاقل حرباً شعواء لا هوادة فيها من بعض أقرانه المضافين ـ بل من الكثير ـ لإجباره على المشاركة ولو بكلمة أو بالمكرر ولو بالأخبار القديمة وإلاّ الطرد مصيره؛ ونجد هذا المضاف قد أضيف دونَ رغبة منه، ولم يبدِ موافقة، بل اكتفى بالصمت حياءً ممن أضافه دون إحراج.

وليعلم الجميع أن الصامتون من خير أهل الأرض . . هم من يصنعون التغيير ويُضيفون كثيراً في عصر الثرثرة . . وهم الفئة النادرة التي تعمل أكثر مما تتكلم، والصمت أيها

(١)- الأربعاء ١٥ / ٣ / ١٤٣٨هـ

العاقل يمنحك طاقة قوية للتفكير بعمق في كل ما يحصل حولك، والتركيز بعقلانية على إجابتك دون التسرع فيها.

فقد جعل الله تعالى الصمت ستراً على الجاهل، وزيناً للعالم . . ولكنه ليس محموداً على الإطلاق، وكذلك الكلام أيضاً ليس محموداً على الإطلاق.

فقد روي أن رجلاً كان يجلس إلى أبي يوسف، تلميذ أبي حنيفة، ويطيل الصمت فقال له أبو يوسف يوماً: ألا تتكلم؟ فقال بلى: متى يفطرُ الصائم؟ فأجابه: إذا غابت الشمس فقال: فإن لم تغب إلى نصف الليل؟ فضحك أبو يوسف، وقال: لقد أصبت في صمتك وأخطأت أنا في طلبي لنطقك، ثم قال:

عجبتُ لإزراءِ العيي بنفسهِ وصمتُ الذي كان بالصمتِ أعلما
وفي الصمتِ سترٌ للعيي وإنما صحيفةُ لبّ المرءِ أنْ يتكلّما

لنرى ونلاحظ هذه القروبات وكثرتها وما يجري في أكثرها من الكلام الباطل واللغو، وتكرار الأخبار القديمة والجديدة والمزيفة ونشر الشائعات التي لا تسمن ولا تغني من جوع، وبعضهم يحاول إضحاك الأعضاء بفكاهة أو كذبة أو غيبة.

لينطبق عليها حديث الرسول ﷺ (يغدو الرجل من بيته يكذب الكذبة تبلغ الآفاق؛ يعذب بها في قبره) نسأل الله العافية؛ وهو ما نشاهده الآن في الجوالات والانترنت أكبر مثال على ذلك.

فلا يجوز إجبار أو إكراه أي شخص على المشاركة والكلام في هذه القروبات، فهو حرٌ فيما يكتب ويرسل، ولن يرضى بالإضافة إلاّ وهو يريد الفائدة منه والاطلاع على الأخبار وما يفيده أولاً بأول، وإلاّ كان أول المغادرين.

قال ﷺ : (من صمتْ نجا) .

قال الغزالي رحمه الله: " هذا من فصل الخطاب وجوامع كلمه ﷺ وجواهر حكمه، ولا يعرف ما تحت كلماته من بحار المعاني إلا خواص العلماء، وذلك أن خطر اللسان عظيم وآفاته كثيرة من نحو كذب وغيبة ونميمة ورياء ونفاق وفحش ومراء وتزكية نفس وخوض في باطل، ومع ذلك إن النفس تميل إليها لأنها سباقة إلى اللسان ولها حلاوة في القلب وعليها بواعث من الطبع والشيطان، فالخائض فيها قلما يقدر على أن يلزم لسانه فيطلقه فيما يحب ويكفه عما لا يحب، ففي الخوض خطر وفي الصمت سلامة مع ما فيه من جمع الهم ودوام الوقار وفراغ الفكر للعبادة والذكر والسلامة من تبعات القول في الدنيا ومن حسابه في الآخرة ".

فمن أضيف لقروب راضياً دون مشاركة لن يجبره أحدٌ على الخروج أو الكلام؛ فما دام أن أحداً أضافه فليتشرف ببقائه معهم دون أذية أو لمز أو استهتار به، أو تأليب الناس عليه.

هنيئاً لك . . أيها الصامت . . في القروب . . هنيئاً لك صمتك . . لأنك ممسكٌ بزمام قلمك ولسانك في عصر الثرثرة وفي ظل هذه الحرب الشعواء ضد الصامتين، فقد عرفتَ كيف تكون مأجوراً على صمتك، لا مأزوراً على ثرثرتك وكثرة الكلام الذي لا يفيد ولا يعود بالنفع.

وهذا مثال على ما يجده من الأذية، انتشرت قبل فترة في القروبات:

ودّك تشيل من القروب الصامتين وتفتح لهم بيبان حوش المقبره
يمكن إليا شافوا قبور الميتين تصحى هل الغفلات والمتكبره
الوصل واجب دين بين المسلمين ما هو كلام بالرسايل نسبره

أشوف ناس حاضرين وغايبين صفحاتهم متوقفه ومغبره
فيه اقتراح لغير الأعضاء الفاعلين يعلن مغادرته قبل ما نجبره
لا فايده في كثرة المتفرجين لا تضيف معنا ناس غير معبره

فأصبح الصمت في نظر الثرثارون تكبراً وغفلة، وليس خلقاً إسلامياً شريفاً، فهل ديننا أمرنا بكثرة الكلام في غير ذكر الله تعالى، كيف غفل هؤلاء الثرثارون عن فضيلة الصمت، بل وأصبح الصمت والميل إلى السكوت مرض يتنصّل منه البعض، وتنهال على صاحبه الأوصاف السوداء تارة والساخرة تارة أخرى من معقد ومنغلق ومحدود الفكر وكئيب ونفسيّة.

يقول جبران خليل جبران: (وقد يكون في الكلام بعض الراحة وقد يكون في الصمت بعض الفضيلة).

فالمثل العربي يقول: (إذا كان الكلام من فضة فالسكوت من ذهب).

وفي الحديث الصحيح: (وهل يكبّ الناس في النار على مناخرهم إلاّ حصائد ألسنتهم).

ولنعلم أن الكلمة إذا لم تخرج من فم قائلها فهو مالكها والمتصرف فيها، وإذا خرجت من فمه تصرفت هي فيه وأوردته المهالك.

هؤلاء أساتذتي[1]

أعَلِمتَ أشرفَ أو أجلّ من الذي يبني ويُنشئُ أنفساً وعقولا

كانوا لنا نعم القدوة ونعم الأساتذة ونعم المربين، أخلصوا لله تعالى فبارك لهم في أوقاتهم وأعمارهم، فلن أنسى فضلهم ولا غيري من تلاميذهم ينسى ذلك، فقد تعلمتُ منهم أغلبَ العلوم الأساسية من الشرعية والتاريخية والعربية، فقد كانوا قدوة لنا في ذلك الزمن الجميل، زمن الحيوية والتوقد وطلب العلم، الزمن المليء بالنشاط والأنس والراحة والسعادة ، بعيداً عن كل مشغلات الحياة وترفها، قبل ما يقارب عقداً ونصفه مضت كنا نجلس أمامهم في ذلك الصرح التعليمي الشامخ ونرتشف من معينهم الصافي، ومقاعد التعليم وفصوله تشهد لهم على جدهم واجتهادهم.

فقبل عامين ودّع المعهد عملاقه وأستاذه الكبير الذي كل من فيه من طلابه جميعاً بلا استثناء وحسنةٌ من حسناته، أحزن الكثير تقاعده ورحيله عن المعهد العلمي، ثم نفاجأ قبل يومين بأربعة من أساتذته ورموزه الكبار تلحق بالركب والتقاعد بعد أن أفنوا أعمارهم وشبابهم وصحتهم بين أروقة المعهد مخلصين متفانين في خدمة الدين والوطن، باذلين ما بوسعهم مجتهدين حريصين على مصلحة أبنائهم وتلاميذهم من أبناء وطنهم ومجتمعهم الذي نشأوا على ترابه واستنشقوا هوائه وحفظوا له ولائه.

---

(١)- ٣/ رجب/ ١٤٣٨هـ

فكم والله تذكرتُ وقوفهم أمامنا ينثرون دررهم وعلمهم وأدبهم وأخلاقهم بإخلاص وتفاني، رجعتُ بشريط الذكريات أعوامٌ وأعوامْ ، قلّبتُ صفحة الأيام، نقبت عن الماضي التليد، مسحتُ غبار الزمن عن الذكريات، لم أجد لهم إلاّ ما يرفعُ ذكرهم وما يملئ موازينهم من نشر للعلم وإخلاص للعمل - نحسبهم كذلك والله حسيبهم ولا نزكيهم على الله تعالى – فقد أفادونا بالعلم الغزير والخلق الرفيع، كانوا قدوة لنا داخل المعهد وخارجه، أخلاقٌ عالية وابتسامة مشرقة، فلهم منا كلّ الحب والاحترام والثناء والدعاء بالتوفيق والسداد بالدارين، فهم السبب بعد الله في بناء مستقبلنا المشرق.

والله وتا الله أقولها غير حانثٍ فيها، أنهم قد بذلوا الغالي والنفيس من أعمارهم وأوقاتهم من أجانا ومن أجل تعليمنا، وقد بذلوا المهج من أجل إخراج أجيال صالحة تخدم هذا الدين والوطن والمجتمع.

وقد تخرج على أيديهم من المعهد العلمي بفيفاء الكثير من طلبة العلم والدكاترة والقضاة والضباط والمعلمين ورجال الأعمال والمهندسين ورجال الحد والجنوبي نعرف الكثير منهم أنهم كانوا يوماً من الأيام طلاباً عند هؤلاء الأساتذة العباقرة، ومنهم من عاد معلماً وزميلاً لهم في المعهد العلمي في فيفاء.

فكم من طالب قد تخرج على يديهم ونهل من علمهم وتأثر بأخلاقهم وصفاتهم الحميدة، وهو الآن يعمل عملهم، وينشر علمهم الذي تعلم منهم فأنا وغيري من آلاف الطلاب الذين تخرجوا على أيديهم حسنات تكتب في سجلاتهم كل يوم بإذن الله، ونحن من ثمارهم وغرسهم الذي غرسوا طيلة سنوات الدراسة عندهم، منهم الأساتذة ومنهم القضاة ومنهم الضباط ومنهم حماة العقيدة ومنهم حماة الوطن، فكم وجهوا حائراً، وأقاموا من أعوجت به نفسه، وعلموا جاهلاً، وأجابوا سائلاً، وتغاضوا عن زلّة،

وتغافلوا عن مغرور النفس، فكان تاريخهم حافلاً بالخير وبالعطاء والتميز والإبداع والكلّ يشهد لهم بذلك، ولا ينكره إلاّ جاهلٌ أو مكابر.

فقد كنت طالباً بين أيديهم في سنوات مضت من الدهر، ولا أزالُ أحمل في قلبي الواجب لهم من حبهم وتقديرهم واحترامهم والثناء عليهم، وكذلك اجعلهم قدوتي في مسيرة عملي، فقد استفدت منهم الكثير والكثير وما زلت أحفظُ بعضاً مما علمونا، وبعضاً من إرشاداتهم ونصائحهم اليومية لبناء مستقبل مشرق، وقد كتبتُ سابقاً عن أحدهم وكيف كان هو السبب في تطوير موهبتي الكتابية ولله الحمد والمنة.

فكم تذكرتُ حصة القرآن الكريم وشيخها المبجل، والتاريخ وعبقريّه التاريخي، والأدب وخطيبُه المفوه، والنحو وسيبويه بأسلوبه الجميل الشيّق، والحديث ومحدثه الوثيق بالأسانيد.

أسأل الله أن يعوضنا وزملائهم فيهم خيراً، وأن يمدهم بصحته وعافيته ويجعل تقاعدهم خيرٌ لهم ويبارك لهم فيه.

ابنكم وتلميذكم

أ. عيسى بن سليمان الفيفي

غَبّرن و أمطرن[1] (*)

لا شك أنهما نعمتان عظيمتان من الله تعالى للإنسان الضعيف وللمُزارِع الذي يبحثُ عن قوته من مزرعته و(حيافه) في فيفاء، وللأشجار التي كاد الجفافُ يُهلكها و(يُقَسِيْها) والحيوانات و(امهَوش) التي تتغذى عليها، وهما - الغبار والأمطار - ضدان لا يجتمعان ولا يأتي أحدهما مع الآخر، فإذا جاء الغبار بدأ موسم (امغبرة) والحرّ ولهيطه وتضايق الناس واستاءوا لذلك و (برشموا) وخيّم عليهم الحزن والتأفف من تلك الأجواء، وبدأت تتغير عليك الأماكن التي كنتَ تعرفها وتألفها وكل يومٍ تجلسها، فلا (مندى) ولا (مشراح) فلا هي بالأماكن التي كنتَ تعرفْ، قد غيّر الغبار حسنها، وأتلف من الجَمال وجهها، وبدل نظارتها وصارت (خَبْثَيَة)، فلا شجرة ولا (هيْجه) تستظل تحتها، ولا (مَنْدَى) عصرية، ولا (مَدْكى) تتربعُ عليه، ولا شرفةٌ (تَبْدِي) وتطلّ منها، وبقي الناس قابعين و(مستغلقين) في بيوتهم وأغلقوا عليهم (كوايبهم) و(سددوا) نوافذهم و(لهوجهم) و(قُتَرَهُمْ) وأحكموها حتى لا يجد الغبار إليهم سبيلاً، يعطسون و(ينحزون) وينسون الخروج إلى الحدائق والمتنزهات والأسواق والأماكن العامة وتقل الزيارات فيما بينهم، وربما قطعت، ولا يخرجون إلاّ لأساسياتهم فقط، ولا يرون في

---

(١)- ١٥ / ١٠ / ١٤٣٨هـ

(*) ـ ما بين الأقواس اقتباسات من اللهجة المحلية بجبال فيفاء.

طريقهم (سَبَدَه) وترتفع وتيرة الانفعال و(الحَرَد) والغضب لدى كثير من الناس، أفنيتهم أتعبت، و(مساقيهم) غبّرت، و(مثاملهم خمّجَت)، ومزارعهم أجدبت، و(نُقَحُهُمْ) حطّبت.

ولا شك أن هذا بقدرة الله تعالى ثم بقلة الأمطار وكثرة الجفاف وتحرك الرياح الموسمية، فمنهم من يحزم أمتعته ويشد الرحال إلى مناطق الأجواء المعتدلة أو إلى الديار المقدسة فهنيئاً له من استغل إجازته في مكة المكرمة، ومنهم من يتجه إلى الحجاز والمرتفعات وأماكن التنزه والسياحية الصيفية، هروباً من الغبار والحرّ، وأما من يفرح بهذه (الغبرة) فهم كبار السن والمزارعين لما يعلمون أن فيه من الفوائد العظيمة ما لا يعرفه إلاّ من أرسله.

ذكروا أن ابن خلدون قال في مقدمته: (أن الأرض بعد تقلب الفصول من فصل إلى فصل، تبدأ بلفظ أمراض وحشرات لو تركت لأهلكت العالم فيرسل الله الغبار، فتقوم هذه الأتربة والغبار بقتلها، وتتراوح حجم حبة الرمل بحسب الحشرة فبعضها صغير يدخل عيونها، وبعضها يدخل أنوفها وبعضها في جوفها وبعضها في آذانها وتميتها، وأيضاً تلفظ الأرض الأمراض بعد الرطوبة خلال فصل الشتاء فلا يقتلها ويبيدها إلاّ الغبار)[1] . . سبحانك ربنا وبحمدك.

فالله سبحانه وتعالى من بيده التدبير وله الحكمة البالغة (وَعَسَى أَن تَكْرَهُواْ شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تُحِبُّواْ شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ). [2]

(١)- هذا الكلام نسب لابن خلدون، وبحثت عنه في المقدمة ومختصرها ولم أجده، فمن وجده يفيدني به على الإيميل المضاف بمقدمة الكتاب.

(٢)- سورة البقرة الآية (٢١٦).

فهو نعمة من الله عظيمة للمزارع والتلقيح وقتل الجراثيم والأوبئة التي تفتك بالناس ومواشيهم ومزارعهم، وخاصة المناطق الحارة التي تنتشر بها الأوبئة بسرعة وتتزايد أضرارها بسرعة مذهلة، ولله الحمد على نعمه فهو شفاء لأمراض لا نعلمها وكثير منها عجز عنها الطب والعلم الحديث.

ويرى الدكتور عبدالملك بن عبد الرحمن آل الشيخ[1] أنّ للغبار فضل كبير علينا، حيث قال: " أن التأثيرات الإيجابية للغبار تبدأ من قوله تعالى في كتابه العزيز: (وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنْزَلْنَا مِنْ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ). [2]

وقد أوضح علماء النبات أنّ التلقيح عملية أساسية للإخصاب وتكوين البذور، حيث تنتقل حبيبات اللقاح من العناصر الذكرية للزهرة إلى العناصر الأنثوية فيها حيث يتم الإخصاب، ويضاف إلى ذلك أنّ الغبار المنتقل إلى أسطح البحار والمحيطات يعتبر مصدر الإمداد الأساسي للعناصر المهمة في المحيطات كالحديد والفسفور والسيلكون والمنغنيز والنحاس والزنك، وتلك العناصر تلعب دوراً مهماً في تغذية وتكاثر الكائنات الدقيقة النباتية البحرية، وزيادة ونمو هذه الكائنات يؤدي إلى تقليل مستوى التركيز الجوي لغاز ثاني أكسيد الكربون - أحد أهم غازات الاحتباس الحراري - كما أنّ الزيادة في نشاط الغبار تتسبب في هطول الأمطار؛ ما يساعد على تجميع حبيبات الأتربة الطينية الدقيقة من المناطق المرتفعة نسبياً، وترسي بها في المناطق المنخفضة كقيعان تجمع مياه الأمطار وأودية جريانها، وهذه المسطحات المائية ما تلبث أن تتبخر وتجف مخلفة وراءها طبقة سطحية غنية بحبيبات طينية دقيقة تزيد من خصوبة التربة ".

---

(١)- المشرف العام على معهد الأمير سلطان لأبحاث البيئة والمياه والصحاري بجامعة الملك سعود والأمين العام لجائزة الأمير سلطان بن عبدالعزيز العالمية للمياه .

(٢)- سورة الحجر: الآية (٢٢) .

وإذا أتى فضل الله ورحمته وجاءت الأمطار بعد أيام البؤس والغبرة التي خنقتهم طيلة الأيام الماضية استبشر بها الناس وفرحوا فرحاً شديداً وحق لهم ذلك الفرح، فهي سنه نبوية كان يفرح رسول الله ﷺ بنزول الأمطار وانتشارها لتحيّ الأرض بعد موتها، وقال يخرج بنفسه وبعض أشيائه لتصيبه المطر أول نزولها، ويقول إنها حديثة عهدٍ بربها.

قال تعالى (وجعلنا من الماء كل شيء حيّ) وخرجوا من بيوتهم ومن كلّ صوبٍ وحدب ينتشرون في أرض الله الواسعة المرتوية بالمطار ومجاري السيول وأوديتها وتجمع الأمطار، وأماكن تجمع قطر السماء ويعرضون أنفسهم للخطر من شدة الفرح بها بعد طول انقطاع، ورغم التحذيرات المتكررة من الجهات المسئولة لتفادي وقوع الحوادث والكوارث لا يبالون بذلك، لتتكرر كل عام هذه المأساة بأحزانها.

لينهض و(ينتبش) الفلاحون والمزارعين مبكرين ليحيوا أرضهم وبلادهم من الجدب و(الستلب) ويزرعوها من جديد، و(يجادبوا) رغبة منهم في (استلحة) هذا العام ومحصوله، ليعملوا ويحرثوا ما بين (تلمن وعنفه) ولينتظروا زرعهم يخرج (ليمخنوه ويدعثروه) لتتم مراحله وأطواره المتكاملة إلى ينعه وحصاده، وهم في شوقٍ وفرحٍ بما أنعم الله عليهم به من الغبار والأمطار، ليستفيد منها المزارع الذي فرح قبل أيام بدخول موسم الغبار لأنه يعلم جازماً فائدته لمزرعته، ليحصدوه آخر الموسم ما بين (غربن) و(ذرة) و(زعرن) و(زيدية) و(دخنن) و(دجرة) و(وغيرة).

بينما يفرح الناس بفصل الشتاء الذي يذهب عنهم لفيح الحرّ ولهيب الشمس ومع ذلك يسافرون للمناطق الدافئة والتي يعتدل فيها الجو، هروباً من البرد القارس، فأصبح الناس كما قال الله تعالى عن قريش (رحلة الشتاء والصيف).

وما علم الناس أن الله جعل للنار نفسين، نفسٌ في الصيف ونفسٌ في الشتاء . . نسأل الله أن يجيرنا منها.

ماذا تعرف عن قصيدة البردة؟[1]

قصيدة " البردة " تعدُّ من أشهر القصائد في مدح النبي ﷺ إن لم نقل أشهرها، وقد نظمها " البوصيري " وهو محمد بن سعيد بن حمّاد الصنهاجي ولد سنة ٦٠٨هـ ، وتوفي سنة ٦٩٦ هـ .

وقد قيل في سببها: أن " البوصيري " أصيب بمرضٍ عُضالٍ، لم ينفع معه العلاج، وأنه كان يُكثر مِن الصلاة على الرسول ﷺ ، حتى رآه في المنام ذاتَ ليلةٍ، وغطَّاه ببردته الشريفة، وأنه لَمَّا قام " البوصيري " مِن نومه، قام وليس به مرضٌ، فأنشأ قصيدته، والله أعلم بحقيقة ذلك.

القصيدة اشتملت على كفرٍ صريح، وقد تتابع العلماء من أهل السنَّة والجماعة على نقضها، ونقدها، وتبيين عوارها، وكشف زيغها ومخالفتها لاعتقاد أهل السنَّة والجماعة.

ومن أبرز الأبيات التي انتُقدت في تلك القصيدة، قوله:

(١)- فإن من جودك الدنيا وضرتها ومن علومك علم اللوح والقلم

هذا الكلام مخالف للقرآن الذي يقول: (وإن لنا للآخرة والأولى) فالدنيا والآخرة من علم الله ومن خلقه سبحانه، وليست من جول الرسول ﷺ ومن خلقه، والرسول عليه السلام لا يعلم ما في اللوح المحفوظ، إذ لا يعلم الغيب إلا الله وحده.

(١)- كتاب فضائل الصلاة والسلام على محمد خير الأنام ﷺ ، محمد جميل زينو (ص٣٨). (بتصرف).

وهذا إطراء ومبالغة في مدح النبي ﷺ حتى جعل الدنيا والآخرة من جوده، وأنه يعلم الغيب الذي في اللوح المحفوظ، بل إن ما في اللوح المحفوظ من علمه.

وقد نهانا رسول الله ﷺ عن الاطراء فقال: (لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، فإنما أنا عبد فقولوا عبدالله ورسوله).

(٢)- ما سامني الدهر يوماً واستجرت به إلا ونلت جواراً منه لم يضم

يقول: ما أصابني مرض أو هم وطلبت منه الشفاء أو تفريج الهم إلا شفاني الله وفرج همي والقرآن يقول: (وإذا مرضت فهو يشفين).

والرسول ﷺ يقول: (إذا سألت فأسال الله وإذا استعنت فاستعن بالله).

(٣)- فإن لي ذمة من بتسميتي محمداً وهو أوفى الخلق بالذمم

يقول: إن لي عهداً عند رسول الله ﷺ أن يدخلني الجنة، لأن اسمي محمداً من أين له هذا العهد؟ وهل التسمية بمحمد مبرر لدخول الجنة؟ والرسول ﷺ يقول لبنته فاطمة رضي الله عنها: (سليني من مالي ما شئت، لا أغني عنك من الله شيئاً).

وقد سئل الشيخ عبد العزيز بن باز – رحمه الله – عن حديث: (من كان اسمه محمَّداً فلا تضربه ولا تشتمه).

فأجاب: " هذا الحديث مكذوب، وموضوع على الرسول ﷺ ، وليس لذلك أصل في السنة المطهرة، وهكذا قول من قال: " مَن سمَّى محمَّداً فإنه له ذمة من محمد، ويوشك أن يدخله بذلك الجنة"! وهكذا من قال: " من كان اسمه محمَّداً فإن بيته يكون لهم كذا وكذا "، فكل هذه الأخبار لا أساس لها من الصحة، فالاعتبار باتباع محمد، وليس باسمه ﷺ ، فكم ممَّن سمي محمداً وهو خبيث؛ لأنه لم يتبع محمَّداً، ولم ينقَد لشريعته،

فالأسماء لا تطهر الناس، وإنما تطهرهم أعمالهم الصالحة وتقواهم لله جل وعلا، فمن تسمى بأحمد، أو بمحمد، أو بأبي القاسم، وهو كافر، أو فاسق لم ينفعه ذلك بل الواجب على العبد أن يتقي الله ويعمل بطاعة الله، ويلتزم بشريعة الله التي بعث بها نبيه محمداً، فهذا هو الذي ينفعه، وهو طريق النجاة والسلامة، أما مجرد الأسماء من دون عمل بالشرع المطهر فلا يتعلق به نجاة، ولا عقاب.

(٤)- وكيف تدعو إلى الدنيا ضرورة من لولاه لم تخرج الدنيا من العدم

الشاعر يقول لولا محمد ﷺ لما خلقت الدنيا، والله سبحانه يكذبه ويقول (وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون).

(٥)- أقسمت بالقمر المنشق إن له من قلبه نسبة مبرورة القسم

الشاعر يقسم ويحلف بالقمر، والرسول ﷺ يقول: (من حلف بغير الله فقد أشرك).

(٦)- لو ناسبت قدرَه آياتُه عظماً أحيا اسمه حين يدعى دَارِسَ الرمِمِ

يقول لو ناسبت معجزات الرسول ﷺ قدره في العظم لكان الميت الذي أصبح بالياً يحيا وينهض بذكر اسم الرسول ﷺ، وهذا الكلام من الشاعر اعتراض على الله سبحانه وتعالى.

فاحذر أخي من قراءة هذه القصيدة وأمثالها المخالفة للقرآن وهدي الرسول ﷺ .

ملتقى أبناء فيفاء بنجران

الحمد لله القائل: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ١٣ ﴾ . الحجرات : ١٣ .

والصلاة والسلام على خير خلق الله، وعلى آله وصحبه أجمعين . . وبعد:

فقد قال رسول الله ﷺ: (مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى) . مسلم (٢٥٨٦) .

نحمد الله حق حمده، والشكر له حق شكره، فهو الذي بنعمته تتم الصالحات، الحمد لله الذي جمع شملنا وألف بين قلوبنا، الحمد لله الذي وفقنا لهذا الاجتماع المبارك، والغالي على قلوبنا.

فقد رأينا ملتقى أبناء فيفاء بمنطقة نجران، الذي بدأت نواته الشهر الماضي باستراحة جوهرة نجران بحي المخيم يوم الثلاثاء بتاريخ ١٥/ ٣/ ١٤٣٣هـ ، وكان الحضور جميلاً ومشرفاً، وكانت بداياته تبشر بخير فلله الحمد والمنة، وفي اجتماعهم الثاني الثلاثاء بتاريخ ١٣/ ٤/ ١٤٣٣هـ ، رأينا الحضور والتألق والفرحة تعلو محياهم جميعاً بهذا اللقاء المبارك، وتفاعل الجميع فيه، رأينا ما يثلج الصدر، ويدخل الفرحة إلى قلوبنا، وتفاؤلهم بالخير، بأنها بداية خير ونقطة أساس تلم شتاتهم، وتجمع فرقتهم، أسوة بالمناطق الأخرى في بلادنا الغالية من شمالها إلى جنوبها، ومن غربيّها إلى شرقيّها، ملتقيات تفرح

القلوب باجتماعاتهم الأخوية والثقافية والرياضية، تجمع بينهم المحبة ويسودهم الإخاء، فلكم جزيل الشكر والعرفان، فأنتم قدوتنا.

ولقد تظافرت جهود المخلصين من أبناء فيفاء بهذه المنطقة وفقهم الله سبحانه وتعالى للعمل الدؤوب والمستمر حتى قام هذا الملتقى على قدم وساق ولله الحمد والمنة، والشكر أولاً لله سبحانه تعالى أن وفق وسخّر لهذا الملتقى هؤلاء الرجال المخلصين لله في العمل، ثم الشكر الجزيل لهم على ما قاموا به من العمل والترتيب وتوزيع اللجان العاملة والإبداع في التصميم والترتيب، والله يستحقون الشكر والتقدير جميع أفرادهم من رئاسة وأعضاء ولجنة ثقافة التي بذلت الجهد الكبير ولجنة الإعلام التي سخرت ما بوسعها للإنتاج والإخراج وكل مَنْ خَلْفَ الكاميرات من المصورين، وجميع اللجان التي أبدت استعدادها للعمل، وخدمة القبيلة بأي شكل من الأشكال.

فقد كانوا هم السبب بعد الله سبحانه وتعالى في جمع شتات أبناء فيفاء من كل حدبٍ وصوب بهذه المنطقة، والألفة بينهم، وهم مؤسسوه والقائمين عليه، وقد اجتمعوا طوال الأسابيع الماضية لوضع حجر الأساس ونقطة الانطلاق ولتمهيد الطريق لهذا المتلقى، وكسر الحاجز الذي يحول دون اجتماع أبناء فيفاء بهذه المنطقة، والحمد لله فقد قاموا بإنجاز الخطوة الأولى منه.

ونهنئكم يا أبناء فيفاء بالمنطقة من الأعماق على اجتماعكم، وانشراح صدورنا بتواجدكم، وتكاتفكم جميعاً، وتشريفكم لقبيلتكم الضاربة في أعماق التاريخ التي تنتمون لها، ونقلكم الصورة الحسنة عنها بهذه المنطقة.

هذا الملتقى سوف يجمعنا بإذن الله تعالى على الألفة والإخلاص والمودة والتعارف والتآلف بين الجميع والتكاتف، والنظر في ظروف البعض، والقيام صفاً واحداً مع من ألّمت به حاجة أو قست عليه ظروف الزمان لا قدر الله ذلك لأحد منا، وبإذن الله سوف تجنى ثماره في مستقبل الأيام، ويقطف حصاده كل فرد (فيفي) بهذه المنطقة.

والشاعر وفقه الله اختصر الأسطر كلها بقوله:

للملتقى صيت يعانق عالي السحاب

كم من جسور بيننا كانت مهدما * * * والملتقى يبني أساسات مرسما

واليوم قد سما

نحو التآلف والتكاتف يحمل الصواب

نسأل الله الإخلاص في القول والعمل، ونسأله أن تكون اجتماعاتنا على خير، وعلى أكبر قدر من المودة والإخاء.

إعداد الأستاذ :

عيسى بن سليمان جابر الفيفي

عضو اللجنة الإعلامية بملتقى أبناء فيفاء بمنطقة نجران

بتاريخ ١٦ / ٤ / ١٤٣٣هـ

رحلَ نبراسُ بُقعتنا[1]

أموتٌ يلي موتاً؟ حنانيكَ يا دهرُ فما جفَّ في أوراقنا الأُوَلِ الحِبْرُ

رحم الله فقيدنا وفقيد الجميع هادي بن عبدالله سالم العُمري الفيفي وغفر له وجعله من ورثة جنة النعيم، وعوض أهله وذويه محبيه خيراً في مصابهم الجلل.

لقد صدق فيه حديث أبي صفوان عبد الله بن بشر الأسلمي – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (خَيرُ النَّاسِ مَنْ طَالَ عُمُرُهُ وَحَسُنَ عَمَلُهُ). [2] ولا نزكيه على الله أبداً، ولكن نحسبه كذلك بإذن الله تعالى والله حسيبه، فقد جاوز التسعين عاماً، ولم يُعرَف عنه إلاّ حرصه على كل ما يقربه من ربه تبارك وتعالى.

فمنذ الثلاثين عاماً عرفته لم يُذكر إلاّ بكل خير، ومما يحفظ له ويحفظ عنه في أقواله حِكَمٌ وفي أفعاله اِتِزَانٌ والتزامٌ بالسنة، وفي مجالسه واجتماعاته لا يُعرف اللغط، تعلوه هيبةٌ تملأُ مجلسه حتى لا تكاد تسمع إلاّ همساً، وله ابتسامةٌ لا تفارقُ محياه تُوحي بحبه لمن حوله، يهتمُ بأمور أقربائه ويكثر السؤال عنهم، ويُكثر من تذكير الناس بالآخرة وبحال من سبق وأن الحياة ليست دار مقر ولا بد من الرحيل منها.

---

(١)- الأربعاء ١٢ / ٨ / ١٤٤٠هـ

(٢)- رواه الترمذي وقال: حديث حسن وصححه الشيخ الألباني رحمه الله .

يُغضِي حَياءً ويُغضَى من مهابته فما يُكلم إلاّ حين يبتسمُ

أحزننا والله كثير رحيل هذا الشيخ الوقور، الذي كان لبنة أساسية في مجتمعنا، فالكل يشهد له الخير والمسابقة له، والأعمال الحسنة، وصلة الرحم، وحضور المناسبات التي تجمعه مع أقاربه، ومداومته على قراءة القرآن العظيم ويشهد له بذلك مصحفه الخاص، لم يُؤذن يومٌ من الأيام إلاّ وهو جاهزٌ لفريضته، وتحليه بصفة الكرم العظيمة (أنتم شهداء الله في أرضه).

نعم هذا هو نبراس بقعتنا ونورها وزهرتها قد رحل بقضاء الله وقدره، نعم هو كبيرنا وقدوتنا، الذي لا بد من مشورته في غالب الأمور التي تتعلق بأهل هذه البقعة، فقد كان المرجع الأول والأهم في ترتيب شجرة عائلتنا (آل برقان) لمعرفته بكل أبناء قبيلته، ممن عاصرهم أو كانوا قبله، حفظ ذلك من آبائه وأجداده، ويحفظ كثيراً من قصص من سبق، ولكن العيب فينا نحن شباب اليوم، لا تحفظ ما سمعنا منهم ولا نكتبه أو ندونه لنحتفظ به، فهو علمٌ نحتاجه في يوم من الأيام، طال الزمان أو قصر، فقد رحل ولم ندوّن منه كل ما يستحق التدوين، رحل كغيره ونحن مشغولون عن ما تحمله صدورهم وعقولهم من العلم والقصص، كما رحل أبي وعمي وغيرهما من رجالات القبيلة رحمهم الله، ثم نضرب كفاً بأخرى ندماً وحسرة على تفريطنا وجهلنا.

فقد عاصرَ الحياة بحلوها ومرِّها وعرف تجاربها، وأخذ منها تجاربه ووضع فيها بصمته، وصمدَ في وجه الحياة العابس، وتترس بالصبر لكل ملمات الحياة وكالحاتها، كان صَبوراً جَسوراً، قوياً بإيمانه، رابط الجأش، متوكل على ربه في كل أموره، يحسن الظن بربه، هادئاً فقد كان له من اسمه (هادي) نصيب – رحمه الله وغفر له – فلم يأتهِ أجله إلاّ وهو

مستعدٌ له كما سمعنا ونُقلَ إلينا، وأنه لم يتحسر على فراق الدنيا، ومن فرح بلقاء الله فرح بلقائه.

نبراسُنا رحلَ عنا إلى حياة السعادة الأبدية، وإلى رَوحٌ وريحان وربٌّ راضٍ غير غضبان، بجوار محمدٍ وصحبة، وتركنا في دنيا فانية يحطم بعضها بعضاً، فالكلُ فقده؛ الكبير والصغير والقريب والبعيد، الكل يحفظ له صدقه وأمانته وهيبته وإخلاصه وتقواه لربه، فهو بمثابة الأب للجميع.

رحلت ولم ترحلْ أخلاقك وصفاتك وأعمالك الصالحة، وبصماتك التي وضعتها في كل مكان وأسعدت بها الناس، أبشر بخيرٍ عظيم ستجده أمامك عند الله تعالى، وقد بشر الله الصابرين على ما أصابهم بالأجر العظيم، والثواب الجزيل، الذي لو رآه المؤمن لتمنى أن حياته كلها مصائب، ليزداد في أجره وترفع درجته في المهديين.

والله إن القلب ليحزن وإن العين لتدمع وإنا بفراقك يا (هادي) لمحزنون . . ولكن لا نقول إلاّ ما يرضي ربنا، إنا لله وإنا إليه راجعون.

(مَاتَ شَيْخُ أَبِيْ)[1]

خبرٌ وربي للفؤادِ يُقطعُ دمعتْ له عيني وعزَّ المضْجعُ
خبرٌ وربي هدّ كلَّ عزيمةٍ يندَى لهُ الرجل الحليم ويَفزعُ
خبرٌ أتى من حولِ مكةَ ناعياً الشيخُ ماتَ وكل أذن تَسمعُ

فُجعنا مع أول يومٍ من شهر رمضان المبارك لهذا ١٤٤٠هـ بخبرٍ أقضَّ مضاجعَنا وأسالَ مدامعَنا ونكأ جراحَنا وأنَّتْ له قلوبنا.

فُجعنا برحيل الشيخ القاضي علي بن قاسم آل طارش الفيفي – رحمه الله – نسأل الله أن يرحمه ويغفر له ويجزيه جزيل الثواب ويجعله من ورثة جنة النعيم، وأن يصبر أهله وذويه ومحبيه، ويحسن عزاء فيفاء وأهلها وما حولها.

فقد كان (علاّمة فيفاء) زمناً طويلاً وقاضيها ومرشدها ومفتيها، فلا يوجدُ بيتٌ من بيوت فيفاء إلاَّ وله عليه فضلٌ كبير، حيث نشر العلم فيها وعلم جاهلها وانصف مظلومها وأدّب ظالمها بشرع الله تعالى، سخره الله تعالى تسخيراً لينقذ فيفاء من براثنِ الجهلِ المطبقِ عليها زمناً طويلاً، لبعدها عن الحياة وصعوبة الوصول إليها لتضاريسها الوعرة.

(١)- ٩/ رمضان/ ١٤٤٠هـ/ فيفاء

حيث نشأ في بيت والده نشأة فطرية إسلامية، وألحقه والده بمعلامة أحمد بن فرح بن أسعد الأبياتي الفيفي، فختم القرآن وعمره سبع سنوات، وتعلم القراءة والكتابة وسائر العلوم، ثم التحق بأول مدرسة علمية أسست في فيفاء، ثم ارتحل لطلب العلم إلى مدينة صامطة لطلب العلم وهو في السادسة عشرة من عمرة، وتغرب عن أهله مدة طويلة منكباً على طلب العلم ولا يعرفون عنه شيئاً، حتى بعث لهم رسالة بخط يده يطمئنهم وأنه سيعود لهم قريباً بعد معاناة طويلة ومشقة في طلب العلم، وقد كان أول من تفرغ من فيفاء لطلب العلم رحمه الله[1] وتنقل مع الشيخ حافظ بن أحمد الحكمي وأجازه شيخه الشيخ عبدالله القرعاوي[2] وبعد أن تحصل على قدرٍ عالٍ من العلم بعثه الشيخ القرعاوي إلى (رملان) إحدى قرى بني شعبة بالدرب إماماً وخطيباً ومعلماً في حدود عام ١٣٦٦هـ، ثم عاد إلى مسقط رأسه فيفاء إماماً وخطيباً لجامع النفيعة [3]

يعلم الناس ويدرسهم ويرشدهم إلى الطريق الصحيح، فقد كان ثمرة من ثمار مدارس القرعاوي السلفية التي نشرها في جنوب المملكة العربية السعودية بدعمٍ سخيٍّ من الدولة.

يقول الشيخ رحمه الله :[4] " من ثمار توجهي لطلب العلم الشرعي أني عرفت معنى التوحيد الذي دلت عليه الشهادتان، وأدركت أن كثيراً من الممارسات عند العامة تشتمل على كثير من الشركيات والبدع، وصرت أنا وبعض الزملاء نقوم بمحاربتها".

(١)- قصة التعليم في فيفاء – للشيخ سليمان بن قاسم الفيفي – (ص٤٣-٥٢).

(٢)- الموسوعة الميساء لجارة القمر فيفاء – لحسن بن جابر الفيفي – (ص١٧٤).

(٣)- الحياة العلمية في فيفاء ١٣٥١ - ١٣٩١هـ - لمحسنة الفيفي – (ص٤٢).

(٤)- من دفتر الذكريات – للشيخ علي بن قاسم رحمه الله – (الحلقة ٤).

ثم عين قاضياً رسمياً في جبال فيفاء عام ١٣٧٣هـ وكان أول قاضي من أبناء فيفاء يعين بهذا المنصب، وبقي بها سنوات طويلة، قدم لفيفاء خدماتٍ جليلة وعظيمة لم يسبق لها مثيل، ولن يقدمها رجل قبله ولا بعده، إلى أن تمت ترقيته إلى قاضي تمييز بمكة المكرمة عام ١٤٠٦هـ رحمه الله، ثم أحيل إلى التقاعد عام ١٤١٤هـ وبقي بها إلى أن وافاه الأجل المحتوم ١ / ٩ / ١٤٤٠هـ - رحمه الله – عن عمرٍ يناهز التسعون عاماً كلها في طاعة الله تعالى وخدمة الدين والوطن، ما بين نشرٍ للعلم وتأليفٍ للكتب والعمل في سلك القضاء.

انتقل من فيفاء وطاب له المقر بأعظم بقعة مباركة على الأرض – مكة المكرمة – وقد ترك بصمة عظيمة تاريخية في فيفاء، والكل يشهد له بذلك، وهيا أرضية سهلة لنشر التعليم النظامي التي أتت بعده.

وسعى سعياً حثيثاً في إيصال المدارس إلى كل أبناء فيفاء، وحث الناس على إلحاق أبنائهم بها وتعليمهم العقيدة الصحيحة، وصرف لهم المكافأة تشجيعاً، ثم لم يألوا جهداً في إيصال تعليم البنات لكل بيت، ولم يرتاح له بالُ حتى رأى المدارس منتشرة وتحتضن جمعاً من المتعلمين الكبار والصغار [1].

وكان من تلاميذه الذي تعلموا على يديه، والدي – رحمه الله – نعم وأيم الله لقد كان شيخُ أبي ومعلمه يوماً من الدهر، فقد كان يخبرنا بذلك، وكان يقول (علمنا ابن آل طارش كذا وكذا) أو يقول (ابن آل طارش ما أحد يصله في العلم) أو (العلامة علي قاسم) وهذا شرفٌ عظيم لاقتران اسمه بالعلم، وكان يثني عليه كثيراً، وكان كتاب

(١)- فيفاء وأطوارها – للشيخ سليمان بن قاسم الفيفي – (ص١٠٧).

(باقة من تراث فيفا الشعبي) من مقتنياته – رحمه الله – وقد زاره بمكة المكرمة قبل رحيله بأربع سنوات عندما تهيأت له الفرصة، ولم تتهيأ له بعد ذلك – رحمة الله عليهما – وقد أثني المعلم على تلميذه بقوله (كان من طلابي الحريصين)[1]، ولم ينسى التلميذ فضل معلمه عليه طوال حياته..

هـذا "عليٌ " وكـم طـابت منـاقبـه حتى غـدا فـوقَ فَيْفَا مضربَ المثلِ

في روضـةِ العلـمِ أمضى العُمرَ من صغرٍ فلا تسـلْ عن نبـوغٍ دونمـا كللِ

إذْ حـاز علمـاً وأضحـى في القضـا علماً تحكـي سجايـاهُ نهجَ السادة الأولِ

فقد ماتَ التلميذ وماتَ أستاذه وبينهما عشر سنوات – رحمة الله عليهما – كنت أكتب بعد اسمه – حفظه الله – ثم الآن أكتب – رحمه الله – وأرجع أتأمل أحقاً مات ورحل، كتابة – رحمه الله – بعد الاسم ثقيلة ومخيفة جداً .

وهكذا انطفأ سراجُ فيفاءَ الوهاج الذي أضاءها بالعلم والعقيدة الصحيحة بعد توفيق الله تعالى، وبقي علمه وأفعاله شاهدة له مهما بقيت جبال فيفاء شامخة بعلوها، فمهما كتبتُ من الحروف فلن أوفيه حقه، ومهما كُتِبَ عنه فقد تصغر الكتابات عن شموخ مكانته العلمية والاجتماعية . . إقرأوا ما كتب عنه أبناء فيفاء من طلبه للعلم ونشره له، وتجشمه المصاعب والمتاعب، ولتعلم يقيناً أن الله سخره لجبال فيفاء . . رحمه الله رحمة الأبرار وجمعنا به في مستقر رحمته.

(١)- ذكرت قصة ذلك في كتابي (مؤلفات الشيخ علي بن قاسم رحمه الله).

يـا أيها الشيـخ هذه الأرض عشـت بهـا ... مجـــاهـداً مـا شكوت الهم والنصبـا

علّمـت أفـتيـت لـم تبخــل على أحــدٍ ... ممـا عرفـت فكنت الحـاذق الذربـــا

مـهـمـا يكـن لمقـام المـرء من ألـــقٍ ... فالعلـم أشـــرفُ مـــا نزهو به رتبـا

يـــا رب فاغـفـر لشيـخٍ مـات محتسبا ... ثـوابـه عنـد مـن لا يـغـفـــل التـعبـا

واجـعـلـه يـــا ربنـــا ممن علـمـــت بـــه ... من أفضل الناس يـــوم الحشر منقلبـا

تمّت

بفضل الله تعالى وعونه وتوفيقه . . نسأل الله القبول والسداد

الفهرس

م	العنوان	الصفحة
١	مقدمة	٤
٢	بين السماء والأرض	٥
٣	موقفٌ وبشارة	٨
٤	رحل قائدٌ ووقف قائد	١١
٥	أستاذي جابر بن سلمان الفيفي	١٤
٦	الهجنبة . . قرية نحبها وتحبنا	١٧
٧	من غابطن إلى الشورى	٢٢
٨	الصامت في القروب	٢٨
٩	هؤلاء أساتذتي	٣٢
١٠	غَبّرن وأمطرن	٣٥
١١	ماذا تعرف عن قصيدة البردة؟	٤٠
١٢	ملتقى أبناء فيفاء بمنطقة نجران	٤٣
١٣	رحل نبراس بقعتنا	٤٦
١٤	مات شيخُ أبي	٤٩